

التعاليق الوظيفية بين الشروح والامتون

دراسة في كتاب التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية

الاسم واللقب: عبد القادر بن زيان

الرتبة أستاذ محاضر (أ)

جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون

Abstract

This article examines and analyses the functional aspects between two structures: the first is called the text (المتن) in which has characteristics that appear in its form, content and intention such as educational value. The second: is an explanation structure in which has characteristics in its form content and intention. From these two sides, we want to clarify the characteristics of the two structures and how to function. This later includes questions and exercises that allow facilitating the understanding of the learner taking into consideration the level and status of the learner.

Key words: text (المتن), explanation, linkage, function, structure ALADJROUMIA, ATOUHFA ASSANIA

الملخص

يتناول هذا المقال دراسة وتحليل أوجه الارتباط الوظيفي بين بنيتين الأولى: يصطلح عليها "المتن" وهي ذات خصائص من حيث شكلها ومضمونها ومقاصدها، و الثانية: هي بنية شارحة ذات خصائص من جهة شكلها ومضمونها ومقاصدها، ومن ثم أردنا أن نقف على أهم الخصائص التي تجمع هذين النصين (المتن والشرح)، نحو القيمة التربوية والتعليمية المتضمنة في الشرح وتوظيف الشواهد بما ييسر الفهم على المتعلم، الأسئلة والتمرينات، مراعاة حال المتعلم ومستواه...

الكلمات المفتاحية: المتن ، الشرح، التعاليق، الأجرومية، التحفة السنية، الوظيفة ، البنية

تمهيد:

سلك العلماء العرب لدى تناولهم العلوم المختلفة (النحو، الصرف، الفلسفة، المنطق، ونحو ذلك) مسالك مختلفة بغية تيسيرها وتسهيل حفظها على المتعلم، فمنهم من نظم هذه العلوم وصاغها وفق ما تقتضيه قواعد الشعر كما فعل ابن مالك وغيره، ومنهم من سلك في ذلك مسلك النثر كما فعل ابن آج الروم الصنهاجي في المقدمة الأجرومية، وابن هشام في قطر الندى وغيرهم، صنعوا ذلك نثراً أو نظماً قصد أن يجتمع للمتعلم مسائل الفن وأصوله، وكذا فروعها من أيسر طريق، ففي النحو مثلاً تجد المتعلم قد أدرك الأبواب النحوية (باب المبتدأ، وباب الخبر، وباب الفاعل، وباب المفعول به) باعتبارها علماً على

تفاصيل فرعية في كل باب ثم يُحصّل جزئيات هذا الباب النحوي أو ذاك ضمن النظم الذي يتضمن أحكاما تفصيلية معززة بشواهد من الاستعمال، لكن الناظم لا يسعه أحيانا جمع كل تفاصيل الباب النحوي واختلافات العلماء فيه، مما قد يجعل بعض مسائله ملتبسة على المتعلم فيأتي شُراح المتن لبيان ما قد يغيب في المتن فيفصلون في المسائل التي قد يعسر فهمها على المتعلم من خلال الشرح والتمثيل من كلام العرب شعرا أو نثرا أو من القرآن الكريم، فعند شرح المتن يزداد وضوحا وتتجلى غوامضه وتتحل عقده.

وللعلماء في ذلك طرائق مختلفة في شروحهم للمتون العلمية، منها المنهج الإجمالي الذي يقتصر فيه صاحبه على فك العبارات الغامضة وبيان مسائل المتن بطريقة موجزة، ومنها المنهج التحليلي الذي يعمد فيه صاحبه إلى شرح وبيان عبارات المتن وألفاظه على وجه التفصيل، ومنها المنهج الموضوعي الذي يقوم على بيان موضوعات العلم من غير تفصيل مسائل المتن، ومنها المنهج التلخيصي الذي يعتمد ملخصات ما قاله الشراح دون التطرق إلى تفاصيل المتن.

وفي هذا السياق نود الوقوف مع أهمية التعالق بين المتن (نثرا أو نظما) والشروح التي تصاحبه ذلك أن المتن له وظيفة تختلف عن وظيفة الشرح، فخاصية المتن تتأسس على حفظ الأبواب النحوية ومسائله التفصيلية ثم تأتي وظيفة الشرح التي هي وظيفية بيانية تفسيرية لما قد يصعب فهمه، ومن ثم يتكامل المتن مع الشرح لبلوغ المتعلم غرضه ومقصده، وعليه فإن موضوعنا سيعكف على بيان أوجه التعالق بين المتن وشرحه في مدونة ابن آج الروم في منته المسمى "المقدمة الأجرومية" وقد شرحه شراح كثر منها الشرح المعروف بـ (التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية لمحمد محي الدين عبد الحميد)، وذلك من خلال النظر في خصائص الشرح وفوائده التي تقوم على بيان مجمل المتن و فك غوامضه وشرح مقاصده، وإعراب شواهد، وترجيح راحجه على مرجوحه، ومن ثم فإن البحث سيركز على استجلاء خصائص شرح التحفة من خلال الوقوف مع منهج وطريقة الشرح التي تقوم على أسس تعليمية كالتييسير، والتدرج ومراعاة مرتبة المتعلم، وعضد الشرح بإيراد الشواهد الشعرية والقرآنية، وكذا اعتماد الطرق التعليمية الحديثة كإيراد الأسئلة مشفوعة بالأجوبة، كل هذا وغيره سيكون محل حديثنا فيه عن الشرح الذي هو قاعدة المتعلم وأساسه وطريقه إلى ضبط مسائل الفن المتضمنة في المتن.

تعد المنظومات التعليمية أو ما يصطلح عليها " الشعر التعليمي" من الظواهر التي برزت في العصر العباسي، دفع إلى ظهورها انفتاح الحضارة الإسلامية على ثقافات متعددة، فكان من مقاصدها نشر مختلف العلوم والفنون وتسهيل حفظها على المتعلمين، وقد أخذت المنظومات التعليمية من الشعر بنيته

الخارجية فتوسلت بأوزانه وقوافيه ونظمت في فنون مختلفة، كالنحو والفقه، والمنطق وغير ذلك وعليه فقد جعلها العلماء وسيلة تعليمية مقصديتها تقرير العلوم وتثبيتها وتسهيل حفظها على المتعلمين لأن النظم أعلق بالذهن من النثر وأسهل حفظاً.

لقد اختلف مؤرخو الأدب العربي في أصل ومنشأ المنظومات التعليمية، فردها بعضهم إلى أصول أعجمية وردّها البعض الآخر إلى أصلها العربي، من ذلك أن أحمد أمين الذي رأى أن أصولها هندية⁽¹⁾، ورأى "يوهان فك" أن لها امتداداً في الثقافة الفارسية⁽²⁾، وأرجع "طه حسين" أصولها إلى الثقافة اليونانية⁽³⁾، أما شوقي ضيف فقد اعتبر الظاهرة من الثقافة العربية المتمثلة في الأراجيز المثقلة بالغريب والأساليب الشاذة التي نظمها أصحابها من أجل أهل اللغة⁽⁴⁾.

لقد ألف النحاة المتقدمون تأليفهم النحوية وقد ضمنوها المسائل النحوية المختلفة، فاستطردوا وفصلوا في ذكر المسائل النحوية فكثرت الشروح والحواشي وتفاصيل المسائل الفرعية الأمر الذي دفع بطائفة من العلماء إلى اختصار هذه المسائل وتبسيطها في منظومات تسهل على المتعلم حفظها وفهمها.

اصطلاحات المتن والشرح والتقرير:

المتن: المتن في اللغة: « الميم والتاء والنون أصل صحيح واحد يدل على صلابه في الشيء مع امتداد وطول، منه المتن: ما صُلِبَ من الأرض وارتفع وانقاد والجمع مِتان»⁽⁵⁾. وهو في اصطلاح المحدثين: « ما انتهى إليه السند من الكلام»⁽⁶⁾ ، وهو بعبارة الكفوي: «المتن: الظهر، وما ينتهي إليه السند من الكلام»⁽⁷⁾ وبهذا المعنى فإن اصطلاح المتن عند أهل العلم يراد به مبادئ فن من فنون جمعت في رسائل صغيرة خالية من الاستطراد والتفصيل والشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة كما هو الشأن بالنسبة لمتون اللغة في النحو والصرف والأصوات.

الشرح: الشرح في اللغة: «الكشف نقول: شرح الغامض أي فسرّه وبابه قطع»⁽⁸⁾ وجاء في الفروق للكفوي معنى الشرح بهذا المعنى: «شرحت الأمر بينته وأوضحته»⁽⁹⁾ ، وعليه فإن الشرح عمل يراد منه توضيح ما كان مبهماً من المتون أو تفصيل ما أجمل منها، ومن ثم فإن الشروح تختلف قصراً وطولاً وعسراً ويسراً .

الحاشية: الحاشية في اللغة: « واحدة حواشي الثواب وجوانبه»⁽¹⁰⁾ ، « والحاشية ما علق على الكتاب من زيادات وإيضاح»⁽¹¹⁾، وهي بهذا المعنى إيضاحات وشروح مطولة دعت إليها ظاهرة انتشار

المتون والشروح وقد قصد منها حل ما يستغل من الشرح وتيسير ما يصعب فيه واستدراك ما يفوته والتنبيه على الخطأ، والإضافة النافعة وزيادة الأمثلة والشواهد.

التقرير: «التقرير: بيان المعنى بالعبارة»⁽¹²⁾، مما يفهم أن التقرير هامش أو ملاحظات كان يسجلها العلماء والمصنفون على أطراف نسخهم مما ينقدح لهم من الخواطر والأفكار في مسألة أو مسائل وذلك أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي. وعليه فإن المسألة الواحدة تشتمل على صاحب المتن وصاحب الشرح وصاحب الحاشية، ثم يأتي صاحب التقرير ويقرأ هذه الكتب الثلاثة المتن والشرح والحاشية فيرى مخالفة للشارح أو مخالفة لصاحب الحاشية فيكتب تقريراً على الحاشية، وهناك كذلك ما يسمى بالتقرير على التقرير.

تعد المنظومات النحوية جزءاً من تاريخ علم النحو ونمط من أنماط التأليف النحوي وحلقة من حلقاته ومرحلة من مراحله أثرت فيما بعدها من مؤلفات، فقد ظهرت ثم ازدهرت ونمت وحافظت على مكانتها مدة طويلة من الزمن، فهي ذات قيمة علمية كبيرة ولها دور عظيم في تنشيط الحركة الثقافية إضافة إلى أنها لا تزال وسيلة من وسائل نقل العلم وتعليمه، وهذا يدل على قوتها ومقدرتها على حمل التراث النحوي فالمنظومات قد قامت في المقام الأول على عملية الحفظ، وهي عملية أساسية في العلم وطريقة لها ما يسوِّغها في عصر ابتداء وانتشار المنظومات وفي جميع العصور.

صاحب المتن ابن آج الروم: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنّهاجي، المعروف بـ (ابن أجروم)، وفي تسميته بهذا الاسم مسألتان: الأولى أنه يُقال لابن أجروم: (الصنّهاجي) نسبة إلى قبيلة صنّهاجة بالمغرب. قاله الحامدي - رحمه الله - والثانية: أن كلمة: (أجروم) لها معنى، وضبط. فأما المعنى: فهو: الفقير الصوفي، وذلك بلغة البربر. قال ابن عنقاء «هي كلمة أعجمية، بلغة البربر، معناها: "الفقير الصوفي"، على ما قيل. لكني لم أجد البرابرة يعرفون ذلك»⁽¹³⁾.

وأما ضبط التسمية: فعلى أوجه:

الأول: بفتح الهمزة مع مدّ، وجيم مضمومة مُخَفَّفة، وراء مهملة مضمومة مع تشديد وتنقيل هكذا: (أَجْرُوم) قاله ابن عنقاء، وبه قطع السيوطي⁽¹⁴⁾ الثاني: كالأول، غير أن الجيم تكون مفتوحة على هذا النحو: (أَجْرُوم) وهذا هو المنقول عن الجمال المطيب. الثالث: بفتح الهمزة دون مدّ وجيم ساكنة وراء مهملة مضمومة دون تشديد، على هذا النحو: (أَجْرُوم) وهو منقول عن ابن أجروم نفسه، قاله ابن الحاج

في: [العقد الجوهري] . الرابع: ما حكاه السيوطي في البغية بقوله : « رأيت بخط ابن مكتوم في تذكرته فقال: محمد بن محمد الصنهاجي أبو عبد الله، من أهل فاس، يعرف بأكروم نحوي مقرئ»⁽¹⁵⁾

مولده ووفاته:

مولده : يقول ابن الحاج : «ولد سنة اثنتين وسبعين وستمائة بمدينة فاس في السنة التي توفي فيها ابن مالك» وبذلك جزم ابن العماد في [شذرات الذهب]. وأما وفاته: فيقول الحلوي في شرحه للجرومية «وكان مولد مؤلف الجرومية عام اثنتين وسبعين وستمائة، وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في شهر صفر ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس ببلاد المغرب»⁽¹⁶⁾

مكانته العلمية: قال السيوطي - رحمه الله - : «وصفه شراح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما، بالإمامة في النحو والبركة والصلاح، ويشهد بصلاحه عموم نفع المبتدئين بمقدمته». وقال تاج الدين ابن مكتوم القيسي الحنفي عنه: «نحوي مقرئ، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها والغالب عليه معرفة النحو والقراءات»⁽¹⁷⁾.

مصنفاته: كان له - رحمه الله - مصنفات أشار إليها ابن مكتوم في: [تذكرته] بقوله: «وله مصنفات وأجيز في القراءات وغيرها»، والمعروف من كتبه⁽¹⁸⁾: المقدمة الأجرومية في علم العربية، فرائد المعاني في شرح حرز الأمان، البارع في قراءة نافع، نظم الاستدراك على هداية المرتاب.

توصيف لمتن الأجرومية: لم يسمَّ المُصنَّف - رحمه الله - كتابه هذا باسم، إنما سُمِّيَ به فقل: (الأجرومية) أو: (الجرومية) وهذا من باب النسبة، لأن المركب الإضافي كالمبدوء ب (ابن)، وهو هنا كذلك، عند النسبة يُحذف صدره (ابن) وينسب إلى عجزه (أجروم) . وقال بعض الشراح: «إنما سُمِّيَت الأجرومية ب (المقدمة)، لأنها توصل المشتغل بها إلى المطولات من كتب النحو والإعراب، كمقدمة الجيش التي تتقدم أمامه، لتهيئ له في المحل الذي ينزله ما يحتاج إليه». وهو معنى لطيف متَّجه، وقد تنوعت العناية بالأجرومية، فمنهم من نظمها كعبد السلام النبراوي، وإبراهيم الرياحي وعلاء الدين الألوسي، والعمرطي وغيرهم. ومنهم من تَمَّمها كالحطاب، ومنهم من شرحها - وهم كثير، عدَّ صاحب [كشف الظنون] منهم أكثر من عشرة - كالمكودي والراعي والأزهري والرَّملي.

وقد اتضح لي من البحث أن أسباب ذبوع **الأجرومية** هي صغر حجمها وسهولة مواضيعها فهي إذ ذاك موضوعة للمبتدئين إذ اكتفى صاحبها ابن آج الروم فيها بالأسس النحوية العامة مراعاة لمستوى

المتعلمين فقد أغفل ذكر بعض الأبواب التي لا حاجة للمبتدئين فيها، مثل: إعمال الصفة المشبهة باسم الفاعل، وباب الاختصاص والتنازع والاشتغال، وكذا المسائل التفصيلية التفريعية كالتفصيلات التي نجدها عند ابن مالك. كذلك خلت «الأجرومية» من التفصيلات التي لا حاجة بها للمتعلم المبتدئ الذي لا يزال بحاجة إلى مبادئ العلوم، وكذلك نلغينا من ذكر الخلافات النحوية التي تُشكِّتُ مجهود المُعلِّم وتثقل كاهل المُتعلِّم كما أغفلت الأحكام النحوية المتعلقة بلهجات بعض القبائل العربية مثل قول ابن مالك عند بيان البنية الصرفية للفعل: "عسى":

والفتح والكسر أجزء في السين من * نحو عَسَيْتَ وانتفا الفتح زكن⁽¹⁹⁾

لقد سلك صاحب المقدمة الأجرومية منهجا اقتصر فيه على كبرى أبواب النحو وأصوله، وقد أشار إلى ذلك غير واحد ومنهم الأزهري في أول شرحه على الأجرومية. واتبع الكوفيين في عباراتهم يقول السيوطي في بغية الوعاة: «وهنا شيء آخر، وهو أننا استفدنا من مقدمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنه عبّر بالخفض، وهو عبارتهم، وقال: الأمر مجزوم وهو ظاهر في أنه معرب وهو رأيهم. وذكر في الجواز: "كيفما"، والجزم بها رأيهم، وأنكره البصريون، فتفطن»⁽²⁰⁾.

صاحب الشرح محمد محي الدين عبد الحميد: (1318.1393هـ، 1900.1973م)

محمد محي الدين بن عبد الحميد مدرس مصري من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر ولد بقرية كفر الحمام بالشرقية وتعلم بدمياط وحصل على شهادة الأزهر العالمية النظامية بالقاهرة (1925) وعمل بالتدريس في مصر والسودان ثم كان عميدا لكلية اللغة العربية وضمه مجمع اللغة العربية في القاهرة إلى أعضائه سنة 1946، واشتهر بتصحيح المطبوعات أو تحقيقها فأشرف على طبع عشرات منها. ومن تأليفه "الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية" وأحكام المواريث على المذاهب الأربعة "التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية"، و"تهذيب السعد" ثلاثة أجزاء، و"تصريف الأفعال"⁽²¹⁾ وله مؤلفات كثيرة منها مبادئ دروس العربية، آراء العلماء في حلق اللحية وتقصيرها، وكذلك كانت له اهتمامات كبرى بالتحقيق والشرح، فقد حقق وشرح قطر الندى وبل الصدى، الإنصاف في مسائل الخلاف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح ابن عقيل، الفرق بين الفرق للإسفرافيني، سنن أبي داود للسجستاني أبو الطيب المتنبى وماله وما عليه لأبي منصور عبد الملك

الثعالبي النيسابوري. قيل في الإمام الطبري: إنه كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالناحوي الذي لا يعرف إلا النحو لبراعته وتعمقه في كل هذه العلوم، فصار كالجامعة لكنها تسعى على قدمين وكذلك كان العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد لكثرة ما ألفه وأخرجه من الكتب في هذه الفنون، ولقد أتى على الأزهر حين من الدهر وجل ما يُدرس في معاهده من تأليف الشيخ الجليل أو من إخراجة وتحقيقه.

ويكفي الشيخ فخراً أنه عالج معظم كتب النحو المتداولة بين طلبة العلم وذوي الاختصاص اللغوي العميق لتيسير دراستها وتذليل قراءتها بالشرح والتعليقات، بدءاً بالآجرومية، وهو متن في النحو العربي للمبتدئين، وانتهاءً بشرح الأشموني للألفية وشرح ابن يعيش للمفصل، ويندر أن تجد أحداً من دارسي العربية في العالم لم يتتلمذ على كتب الشيخ محيي الدين في اللغة والنحو أو يستفد منها (22).

ولم ينصفه الزركلي حين ترجمه في الأعلام ترجمة موجزة قال فيها: واشتهر بتصحيح المطبوعات أو تحقيقها فأشرف على طبع عشرات منها، وهذه كلمة قليلة في حق الشيخ محي الدين لا تقي تعلمه وجهوده ثم إنها كلمة قد تلتقي مع الذين يهونون من أثر الشيخ وجهوده (23).

الخصائص الوظيفية لكتاب التحفة السنية:

مقدمة الشارح : تضمنت المقدمة ثمانية أسطر لخص فيها الشارح مسألتين كبيرتين الأولى وهي قيمة تربية تضمنت الشكر والحمد لله، والثانية مسألة منهجية سلكها الشارح لمتن الآجرومية تقوم على أمرين هما طريقة الشرح، والمستهدف بهذا الشرح، أما طريقة الشرح فهي تتأسس على مقصد التيسير من خلال وضوح العبارة وظهور الإشارة وإجراء التمرينات على طريقة المحدثين في قاعات الدرس « هذا شرح واضح العبارة ظاهر الإشارة يانع الثمرة داني القطاف كثير الأسئلة والتمرينات... قصدت به الزلفى إلى الله تعالى بتيسير فهم "المقدمة الآجرومية" على صغار الطلبة لأنها الباب إلى تفهم العربية» (24)

المقدمات : وضع الشارح مقدمات يراها عتبات نحوية مناسبة لمتعلم النحو، وهي تقوم على فهم بعض كليات النحو من خلال ضبط بعض الحدود التي تتعلق بالنحو، كتعريف النحو، وموضوعه وثمرته، ونسبته وواضعه، وحكم الشارع فيه، فبين في هذه المقدمات تعريف النحو في اللغة وفي الاصطلاح ثم فائدته التي تصون لسان المتعلم من اللحن وتكون بذاك طريقاً إلى فهم أنواع الخطاب من كلام الله عز وجل وسنة نبيه وغير ذلك من كلام العرب..... (25).

وبعد هذه المقدمات البسيطة شرع الشارح في شرح الأبواب النحوية بابا بابا وفق ترتيبها في نظم صاحبها ابن آج الروم، ابتدأ ذلك ببيان حد الكلام والوحدات اللغوية التي يأتلف منها الكلام، وهي: الاسم، والفعل والحرف، وقد وقف الشارح مع معظم الأبواب النحوية ممثلة في باب الإعراب وعلاماته، باب الإسناد ممثلا في الفاعل والمفعول به، والمبتدأ والخبر، وباب العوامل الداخلة على الجمل الاسمية، وباب المخصصات ممثلة فيما يقع مخصصا لأحد طرفي الإسناد كالمفعول به والحال والتمييز والمفعول لأجله والظرف الزماني والمكاني، ونحو ذلك، وباب المخفوضات من الأسماء.

منهجية الشارح: تقوم منهجية الشارح على الفصل بين قول المصنف (ابن آج الروم) وذلك بإيراد قول المصنف فيقول: «قال المصنف» فيورد قول المصنف نحو قوله: " قال : الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع " وبين قوله بإيراد شرح ما تضمنه نص المتن بقوله: وأقول: "لفظ الكلام معنيان، أحدهما لغوي والثاني نحوي»، وهكذا طريقتة في عرض مسائل المتن مسألة مسألة.

الأسئلة والتمرينات: تقوم منهجية الشارح على تعزيز الشرح بإيراد الأسئلة عقب كل باب نحوي وذلك بتوظيف وتعزيز قدرات المتعلم على بلوغ الأهداف، كأن يرسخ فكرة بدت غامضة، أو يدرب المتعلم على توظيف الجوانب النظرية التي أخذها المتعلم من الشرح، وذلك بوضع آلية التمرينات (أي التطبيقات)، وهي وضع المتعلم في الممارسة والتدريب، وذلك كأن يطلب من المتعلم إيراد الشواهد والأمثلة على كل سؤال نظري مما يجعل المتعلم أقدر على تمثيل الجوانب النظرية، كالذي نجده في باب علامات الفعل قوله: «ميز الأسماء والأفعال في العبارات الآتية مثل بمثالين تكون قد في أحدهما دالة على التقليل وتكون في الآخر دالة على التكثير»⁽²⁶⁾.

توظيف الشواهد النحوية: تقوم منهجية الشارح على توظيف الشاهد من نصوص القرآن الكريم، أو من الحديث النبوي، أو من الشعر العربي، وهي مدونات اشتغل عليها النحاة عند تقييدهم للنحو العربي، وبهذا المعنى فإن شارح المتن قصد توظيف هذه الشواهد المختلفة بغية حمل المتعلم على معرفة الدليل النحوي وفائدته في التعلم وكذا القضايا الأخرى التي قد يتضمنها الدليل النحوي من الشعر أو القرآن، كأن يتضمن مسألة صرفية أو دلالية أو بلاغية أو صوتية .كالذي فعله في باب الحال موظفا الشاهد القرآني من قوله تعالى " في أربعة أيام سواء " للدلالة على مجيء الحال من النكرة المضافة، أو الموصوفة، والشاهد الشعري في قول الشاعر: لمية موحشاً طلل * يلوح كأنه خلل، وهو شاهد على مجيء الحال من النكرة لتقدمه عليها، والشاهد من كلام العرب في قوله "أرسلها العراك" أي معتركة .⁽²⁷⁾

مرعاة حال المتعلم ومرتبته: تقوم منهجية الشارح على مراعاة حال المتعلم ومرتبته، فهذا الشرح يقصد إلى التيسير والتدرج في العملية التعليمية، وذلك من خلال تبسيط العبارة كما أشار إلى ذلك في مقدمة الشرح وإلى إيراد الشاهد من مدونات مختلفة وإلى وضع المتعلم في الممارسة من خلال التدريب، فهذا الشرح موجه إلى من لهم مستوى تعليمي كأن يكون المتعلم ينتمي إلى قسم الثانوي أو الجامعي، وقد كان هذا الشرح معتمدا في الأزهر الشريف «وهذه الكتب الستة بهذا الترتيب كانت مقررات الدرس النحوي في المرحلتين الابتدائية والثانوية بالأزهر الشريف إلى عهد قريب أدركته وانتفعت به» (28)

البعد عن الخلاف: يقف صاحب الشرح في شرحه هذا على بيان المسائل النحوية وضبطها بما يحقق فائدة المتعلم، فلا يشغله بكثرة التفريعات في المسائل النحوية، ولا يشير من بعيد أو قريب إلى مسائل الخلاف بين النحاة، وإنما يجتهد في بيان المسألة وضبطها من جهة حدّها ومن جهة استعمالها، «ولقد وجدنا فضل الشيخ ظاهرا وجهده واضحا في ذكر الراجح من الآراء والأخذ بيد القارئ إلى أرشد الأقوال وأصحها إلى ما أفاض فيه من نسبة الشواهد وشرح ما فيها من الغريب والتعريف بالشعراء وذكر سابق البيت أو لاحقه مما لا يظهر المعنى إلا به، كل ذلك بعبارة فيها من حسن البيان وجمال الأداء ما يغري بقراءتها والاستزادة منها» (29)، كالذي نجده عند جواز مجيء الحال من النكرة بعلّة تقدمها على صاحب الحال وذلك في الشاهد الشعري الذي أورده :

لمية موحشاً طلل * يُلُوْحُ كأنه خَلُّ

وقد ورد في هذا الشاهد النحوي خلاف بين النحاة في بيان أوجه وقوع الحال " موحشاً"، وفي المغني أن تقديم النكرة عليها ليس لأجل تسويغ مجيء الحال منها، بل لئلا تلتبس الحال بالصفة حال كون صاحبها منصوبا. وفي الرضي ما يوافقه، وعلى هذا فالمسوغ في المثال تقديم الخبر، وفي البيت هو أو الوصف، وما ذكر أنه حال من النكرة، هو ظاهر كلام سيبويه، وقيل من الضمير المستكن في الظرف، وهذان القولان مبنيان على جواز الاختلاف بين عاملي الحال وصاحبها، والصحيح المنع، لأنه يجب أن يكون عاملها واحدا، وصحح ابن مالك في شرح التسهيل، قول سيبويه، وعمله بأن الحال خبر، فجعلها لأظهر الاسمين أولى من جعلها لأغمضها» (30)

اعتماد معاني النحو: سلك الشارح في تحفته مسلكا يقوم على بيان المعاني والدلالات التي تكون للكلمة أو لباب نحوي، فهو يقوم على بيان المعاني اللغوية والاصطلاحية لكل باب نحوي، ولا يلبث أن يتعرض في ثنايا الشرح للمعنى الذي يكون أساسا في فهم النحو العربي، أو يعطي الفروق الدلالية للأداة

النحوية، أو للكلمة التي تأخذ وظيفة نحوية مما يترتب عليها إعرابا محتملا كالذي نلفيه في باب الحروف كـمعنى "حتى" «وهي للتدرج والغاية، والتدرج هو الدلالة على انقضاء الحكم شيئا فشيئا نحو يموت الناس حتى الأنبياء والأداة "أو" وهو للتخيير أو الإباحة، والفرق بينهما أن التخيير لا يجوز معه الجمع، والإباحة يجوز معها الجمع فمثال التخيير "تزوج هنداً أو أختها" ومثال الإباحة "ادرس الفقه أو النحو" فإن لديك من الشرع دليلاً على أنه لا يجوز الجمع بين هند وأختها بالزواج، ولا تشك في أنه يجوز الجمع بين الفقه والنحو بالدراسة.⁽³¹⁾ ويشير كذلك إلى دلالة "قد" في سياقاتها المختلفة، "وإذا دخلت على الفعل المضارع دلت على أحد معنيين أيضاً، وهما التقليل والتكثير، فأما دلالتها على التقليل، فنحو ذلك: "قد يصدق الكذوب" وقولك: "قد يوجد البخيل"، وقولك: "قد ينجح البليد"، وأما دلالتها على التكثير، فنحو قولك "قد ينال المجتهد بغيته" وقولك "قد يفعل النقي الخير"⁽³²⁾

إعراب الشواهد: مما اشتمل عليه منهج الشارح اعتماده على إعراب الشواهد النحوية وبيان معانيها ونسبة أقوالها إلى أصحابها، ذلك أنه يقف مع الشاهد بإعرابه إعراباً تفصيلياً بغية تدريب المتعلم وحمله على الممارسة والتطبيق، ولا يفتأ يقف مع معاني الشاهد النحوي للاستزادة من الفائدة، فيكون المتعلم قد حصل فوائد في النحو وفي المعاني وفي الاهتداء إلى أصح الأوجه وأرجحها، كما أشار إلى ذلك الطناحي: «ولقد وجدنا فضل الشيخ ظاهراً وجهده واضحاً في ذكر الراجح من الآراء والأخذ بيد القارئ إلى أرشد الأقوال وأصحها إلى ما أفاض فيه من نسبة الشواهد وشرح ما فيها من الغريب والتعريف بالشعراء وذكر سابق البيت أو لاحقه، مما لا يظهر المعنى إلا به، كل ذلك بعبارة فيها من حسن البيان وجمال الأداء ما يغري بقراءتها والاستزادة منها»⁽³³⁾. ولقد أفاد الناس من بعده في طريقة عرضه للمتون من خلال ضبط المتون وإعرابها كما فعل ذلك في ألفية ابن مالك وقطر الندى وغيرهما: «فقد غبر زمان وأتى زمان وليس بين أيدي طلبة العلم من كتب النحو إلا ما أخرجه الشيخ محرراً مضبوطاً في أجمل صورة وأبهاها، وإن كثيراً من المعربين الذين يتقنون إعراب الشواهد وتوجيهها إنما أفادوا من إعراب ألفية ابن مالك وإعراب الشواهد اللذين نثرهما الشيخ في حواشي ابن عقيل، وأوضح المسالك، وقطر الندى وشذور الذهب»⁽³⁴⁾

خاتمة: في ختام هذا البحث نشير إلى أن المتن والشرح بنيتان متكاملتان، فالمتن نص يقوم على صياغة الفن بطريقة مختصرة في قالب شعري أو نثري يحوي مسائل الفن في صورته المختلفة، وأما الشرح فهو نص ثان يقوم على وظيفة الشرح والبيان، فيكثر فيه التفصيل لمسائل الفن من خلال إيراد الشواهد الشعرية والقرآنية على المسألة زيادة في الإيضاح، وعلى هذا سار الشيخ محي الدين عبد الحميد في

شرحه التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية يشرح فيه المتن بابا بابا متوخيا التيسير والتدرج ومراعاة حال المتعلم والبعد عن الخلاف بما يتّقل كاهل المتعلم، وبهذا يكون شرحه قد استوفى الغايات التعليمية التي يسلكها المعلمون في قاعات الدرس بل هي طريقة من الطرائق الحديثة في ميدان تعليم العلوم.

الهوامش والإحالات

- 1 أحمد أمين، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949، ج1، ص258
- 2 يوهان فك، العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص105.
- 3 طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، 1958، ج1، ص221.
- 4 شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952، ص345.
- 5 ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دون ط، ج5، ص294.
- 6 علي بن محمد الجرجاني، التعريفات تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، ط2، 2007، ص281.
- 7 الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات تح: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص874
- 8 الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط1990، ج4، ص217.
- 9 نفس المرجع، ص538.
- 10 الرازي، مختار الصحاح، ص97.
- 11 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، ط1990، ج2، ص177.
- 12 الكفوي، الكليات، ص310.
- 13 ينظر: السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، ط1979، ج1، ص238.
- 14 نفس المصدر، ج1، ص238
- 15 نفس المصدر، ج1، ص239.
- 16 نفس المصدر، ج1، ص239.
- 17 نفس المصدر، ج1، ص239.
- 18 محمد الهاشمي، التوضيحات الجلية في شرح الأجرومية، دار الظاهرية، الكويت، ط2011، ج1، ص08.
- 19 ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1999، ج1، ص341.
- 20 السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص238.
- 21 خير الدين الزركلي، الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج7، ص92.
- 22 ينظر تفاصيل أكثر على الموقع الإلكتروني ويكيبيديا.

23 محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، مكتبة السنة، القاهرة ، 1989، ص03.

24 التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، ص03.

25 نفس المصدر، ص04

26 ينظر: نفس المصدر، ص 20.10. 25

27 نفس المصدر، ص110.

28 الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث ص 78.

29 نفس المرجع، ص71.

30 ينظر: خالد بن عبد الله الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2000، ج1 ص584/585.

31 التحفة السنية ص90/89.

32 التحفة السنية، ص11.

33 الطناحي مدخل إلى دراسة التاريخ، ص71.

34 نفس المرجع، ص71.

قائمة المصادر والمراجع:

الأزهرى (خالد بن عبد الله الأزهرى)، شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2000.

أمين (أحمد) ، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949.

أنيس (إبراهيم وآخرون)، المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، ط1990، 2.

الجرجاني(علي بن محمد)، التعريفات تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، ط2.

حسين (طه)، حديث الأريعاء، دار المعارف، القاهرة، 1958.

الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصحاح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990.

الزركلي(خير الدين)، الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2002، 15 .

السيوطي(جلال الدين) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: مجمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر لبنان، ط2، 1979.

ضيف(شوقي)، التطور والتجديد في الشعر الأموي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952.

الطناحي (محمد محمود) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1984.

عبد الحميد(محمد محي الدين)، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، مكتبة السنة، القاهرة، 1989.

ابن عقيل(بهاء الدين عبد الله)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1999.

ابن فارس(أبو الحسين أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دون ط.

فك (يوهان)، العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.

الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)، الكليات تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1998.

الهاشمي (محمد)، التوضيحات الجلية في شرح الأجرومية، دار الظاهرية، الكويت، ط2011، 1، ، ص08.

